استغلتها اسرائيل لتسريع هذه الهجرة، ومحاولة غسل أدمغة اليهود الذين أصرّوا على البقاء في أوطانهم التي عاشوا فيها.

والواقع أن الصهيونية بدأت تمارس نشاطها بين يهود المغرب العربي في الأربعينات، واستطاعت أن تثير بعض حوادث الاحتكاك. ولكنه لم يكن من مصلحة اليهود المتمتعين بالرخاء والمساواة المغامرة في المجتمع الاسرائيلي القلق. وما أن لاح استقلال المغرب في الأفق حتى جددت الصهيونية حملتها الدعاوية، فكانت تشيع بينهم أنه من الأفضل لهم مغادرة البلاد فوراً قبل أن تتخذ حكومات المغرب الإجراءات لمنع الهجرة. ورغم أن هذه الحكومات قد بذلت جهوداً كبيرة لمنع التعرض لليهود بأي أذى، إلّا أن نشاط الأجهزة الصهيونية كان أقوى منها، فأخذت الجاليات اليهودية تتناقص باستمرار، حيث وصلت في المغرب، مثلاً، إلى ٤٥ ألفاً، وهي لا تزال أكبر جالية يهودية في بلد عربي.

من الواضح ان الاندثار المقدر للجاليات اليهودية، في بلاد المغرب العربي، لا يرجع إلى أي لون من ألوان سوء المعاملة، بل إلى مفهوم الصهيونية العنصرية التي من الصعب أن تتعايش حتى مع اليهود غير الصهيونيين الذين لا يشاطرونها نظرتها إلى الآخرين. لهذا، فعندما يتحدث عربي إلى غير عربي عن القضية الفلسطينية دون أن يكون ملمّاً بالنموذج الصهيوني، يعترضهما دائماً حائط مسدود، فيما يتعلق بالحاضر. فقد يتفق الأجنبي مع العربي، أو قد يبدي عطفه وتفهمه، فيما يختص بالماضي؛ إلا أن الحديث عن القضية، في أبعادها الحاضرة والمستقبلة، يؤول بهما إلى الافتراق، إذا لم يأخذا بعين الاعتبار طبيعة الكيان الصهيوني.

من الحائط المسدود هذا، يستحسن الاستطراد قليلاً، لنرى أسس التفكير الصهيوني فيما يختص بإمكانية التعايش اليهودي مع غير اليهودي. لقد تبين أنه بإمكان اليهود، غير الصهيونيين، التعايش مع مختلف الطوائف الأخرى؛ وخير مثال لذلك الحالة الاجتماعية والاقتصادية التي كانوا عليها في مختلف البلاد العربية، قبل احداث التقسيم وما تبعها، لا سيما في المغرب العربي. فالسؤال المطروح، إذاً، لماذا تقف الايديولوجية الصهيونية عائقاً أمام تعايش اليهود، مع غيرهم من الناس في العالم كلّه؟

الأصل في ذلك، على ما نعتقد، هو في عقدة الانفصال عن البشر والامتياز على أمم العالم، هذه العقدة التي اتخذت طريقها، وأصبحت عاملاً أساسياً في تكوين الفكر الصهيوني: عن طريق الانساب والأعراق، والذكريات الدينية والسياسية التي تضخمت مع الزمن، على الرغم من أن جميع البحوث الاجتماعية والتاريخية والانتربولوجية تؤكد أن اليهودي يعتبر من أبعد الجماعات البشرية عن النقاء العنصري الذي تدعيه الصهيونية. وفي ذلك، يقول العلّامة السويسري أوجين بيتار: «ان جميع اليهود، في نظر علماء الانتربولوجيا، على الرغم من كل ما يدعيه اليهود المنضوون تحت الفكرة العنصرية الاسرائيلية بعيدون عن الانتماء 'جنس يهودي'[٥]». وكما يقول أرنست رينان: «لا توجد سحنة يهودية بل هناك عدة سحنات يهودية»[٦]. ولكن الخرافة قد تكون أقوى أثراً في خلق النفسية العنصرية